﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ [الملك: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ مِنَ الوَصْفِ المُجَرَّدِ إلى الوَصْفِ الحاصِلِ بالتّقابل

لمّا وصفَ اللّهُ تعالى الكافرين بالعُتوّ والنُّفور؛ عقَّبهُ بذِكْرِ ما يُبيِّن شناعةَ هذَين الوَصْفَين؛ إذ هُما فعلُ مَن عَميَ عن البصيرة، وفَقَد الهُدى، فناسب أن يُضْرَبَ لَهُما مثلُ الموحِّد والمُشرِك؛ ليتجلَّى الفَرْقُ بَيْنَ سالكِ سبيلِ الحقِّ وسالكِ سبيلِ الباطل[1]، فهو انتقالٌ من الوصفِ المُتجرِّد للمشرك، إلى الوصفِ الَّذي يحصُلُ بالتّقابل الاستفهاميِّ؛ ليُتوصَّل إلى البيانِ الإجماليِّ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُكِبًّا﴾: الكَبُّ: إسقاطُ الشَّيءِ على وجهه، يُقال: كَبَّ الشَّيءَ يكُبُّه كَبًّا، وكَبْكَبه: قَلَبَهُ[2]، وأكَبَّ على الشَّيءِ: أقبل عليه، ولَزِمَه[3]، وأصلُ (كبب): يدُلُّ على جمعٍ وتجَمُّع[4]، والمعنى: ساقطًا عَلى وجْهِه لا يُبصِرُ يمينًا ولا شمالًا، ولا ما بيْنَ يَدَيْه[5].

2) ﴿سَوِيًّا﴾: السَّويُّ: فَعيلٌ في معنى: مُفْتَعِلٍ، أي: مُسْتَوٍ، والسَّويُّ يقال فيما يُصان عن الإفراط والتّفريط من حيث القَدْرُ والكيفيّةُ[6]، وأصلُ (سوي): يدُلُّ على استِقامةٍ واعتِدالٍ بيْنَ شَيئَيْنِ[7]، يُقال: هُما على سَويَّةٍ من الأمر، أي: على سواء، أي: استواء، ومعنى ﴿سَوِيًّا﴾ في

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 594، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 257.
(2) ابن سيده، المحكم: (كبب).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (كبب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كبب).
(5) النَّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 3/ 516، وابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 100.
(6) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سوا).
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سَوِيَ).

الآيةِ: (مُسْتَقيمًا مُنتصبَ القامةِ، مُعتدلًا، ناظرًا إلى ما بيْنَ يدَيْه، سالمًا مِن العُثورِ والخُرورِ)[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تمثيلُ الكافِرِ بالمُنكَبِّ على وجهِهِ والمؤمنِ بالماشي على صراطٍ مستقيمٍ

ضربتِ الآية الكريمةُ مثلًا لحالِ الكافرِ والمؤمنِ، فالكافرُ كمَن يمشي مُطأطئَ الرَّأس، لا يهتَدي إلى سبيلِه، فيتعثَّر، ويَسْقُط على وجهه، وأمّا المؤمنُ فكالَّذي يَسيرُ معتدلًا، رافعًا رأسَه، ثابتًا في خُطواتِه، مُبصرًا طريقَهُ الواضحَ المُستقيم، بعيدًا عن الاعوجاج والانحرافِ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغَةُ الاستفهامِ وغرَضُه:

تقريرُ المعنى في ذِهْنِ السّامعِ وتبكيتُ المُخالِفِ والإنكارُ عليهِ

غرضُ الاستفهامِ في قولِه تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ التَّقرير، أي: تقرير أنّ المؤمنَ الَّذي يَمْشي على صراطٍ مستقيمٍ أقوَمُ مِنَ الَّذي يَمْشي مُكِبًّا على وجهِه وهو المُشركُ والفاسق، فالاستفهام هُنا معناه الإلزامُ والقَطْعُ بالحقيقة[3]، كما أنَّ في هذا الاستفهام إنكارًا و تبكيتًا، ومثلُ هذا الإنكارِ قولُهُ تعالى: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: 59][4].

نوعُ الفاءِ ودلالَتُها:

تفريعُ المثَلِ عَلى ما تقدَّم؛ لبيانِ تَبايُنِ أحوالِ النّاسِ

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا﴾ لترتيبِ المثَلِ على ما ظهرَ من سوءِ حالِهم وخرورِهم في مَهاوي الغرورِ وركوبِهم مَتْنَ عشواءِ العتوِّ والنفورِ، وعدمِ اهتدائِهم في مسلكِ المُحاجَّةِ إلى جهةٍ يُتوهَّمُ فيها رشدٌ في الجملةِ، فهي تُبرز نتيجةَ ما تقدّم مِن أدلَّةٍ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 594، والرَّسعنيّ، رموز الكنوز: 8/ 209.

(2) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 219، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 231، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 181.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 229، والباليسانيّ، حسن البيان: 6/ 2611، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 46.

(4) المجاشعيّ، النّكت في القرآن الكريم: 1/ 507.

وعِبَر، وتُبيّن أنَّ سوءَ حالِهِم واغترارَهم وركوبَهم مَتْنَ العتوِّ والنُّفور قادَ إلى هَذا التَّمثيل البَليغ[1].

وَجْهُ التَّعبير بالموصولِ:

دلالةُ العُمومِ في التَّمثيل بالمُكِبِّ على وجهِهِ

في اختيار الموصولِ (مَن) دون الاسم الصَّريح في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا﴾ إجمالٌ في اللَّفظ، وتشويقٌ للسّامع ليَسْتَمِعَ إلى الصِّلة الَّتي تُحدِّدُ الموصوفَ، وتَكْشِف عن حاله، وهي تُفيد معنى العُموم، أي: إنَّ المثل لا يخصُّ فردًا بعينه، بل يشمَلُ كُلَّ مَن تَنْطَبِقُ عليه الصِّلة، فكلُّ كافرٍ داخِلٌ في هذا المَثَلِ[2].

دلالَةُ التَّعبير بصيغةِ المُضارع:

المُؤاخـذَةُ عَلى السُّلوك المتجَدِّد لا على الفِعْلِ الطّارئ

دلَّ الفعل ﴿يَمْشِي﴾ بصيغةِ المُضارع على الاستمرار والتَّجدُّد، فحالُ الكافر في عَماه وضلالِه متواصلٌ، والمُؤاخذَةُ ليسَت على فعلٍ واحدٍ طارئٍ، بل على سُلوكٍ مستمرٍّ متجدِّد.

نُكتَةُ تَنْكيرِ ﴿مُكِبًّا﴾ وصوغِهِ اسمَ فاعلٍ:

تحقيرُ شأن الضّالِّ وتعميمُ سقوطِ كلِّ كافر معانِدٍ

نُكِّر لفظ ﴿مُكِبًّا﴾؛ لإفادة تحقير شأن الضّالِّ، والتَّعميم لحالِ السُّقوط والمَهانَة، فكلُّ مَن اتّصَفَ بالكُفْر والعناد فهو واقعٌ في هذا المَصير. وصياغَتُه على وزْنِ اسْمِ الفاعل مأخوذٌ مِن (أكبَّ) اللّازم المطاوعِ لفِعْلِ (كبَّه)، فهو تصويرٌ للكافر كأنّه ذاتٌ مطبوعَةٌ على الانكبابِ والسُّقوط، لا يَمْلِكُ لنَفْسِه قيامًا ولا اهتداءً[3].

بلاغَةُ استعمالِ مُفْرَدَة ﴿مُكِبًّا﴾:

المُعاكَسَةُ في المَشْيِ توصِلُ إلى خلافِ إرادةِ الماشي وتوقِعُهُ في شرِّ انكبابِهِ

جاء لفظ ﴿مُكِبًّا﴾ حالًا من فاعل ﴿يَمْشِي﴾؛ لتُصَوِّرَ هيئةَ المَسير في غاية العجْزِ والاضطراب، فالآية تصِفُ حالَ الماشي بالانكباب

(1) الحصنيّ، المقتطف من عيون التّفاسير: 5/ 289، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 9، والدَّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 158.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 44.

(3) ابن جزيّ، التَّسهيل: 2/ 397، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 46، والقنّوجيّ، فتح البيان: 14/ 244.

على وجهه، فحالهُ مُعاكِسٌ للطَّريقة المرضيّة باتّباع الفطرة الإنسانيّة، فالانكباب جَعْلُ الوجه إلى أسفلَ مُخالفًا لِما خَلَق اللّهُ تَعالى البشَرَ عليهِ في المَشْي، دلالةً على المخالفَةِ في طريقِ الحقِّ الموصل إلى النّجاة، وهو دالٌّ كذلك على وُعورَةِ مَسْلَكِه، واختلال قواه، والاكتفاءُ بدلالةِ الكَبّ وحده على هذه الهيئةِ إشعارٌ بمَهانَة طريقِ المُشرك، وأنّه طريقٌ شاقٌّ غيرُ موصلٍ إلّا لسوء المصير؛ إذ شأنُ التّعكيس أن يوصلَ المعاكِسَ إلى نقيضِ طريق النّجاة؛ لأنَّه لا يرى الأمور باستقامةٍ، فيقَع في غيرِ ما يُريد، ويَصِل إلى غير ما يَظُنُّ.

بلاغَةُ الكِنايَةِ في التَّعبير بلَفْظِ ﴿مُكِبًّا﴾:

التَّعبير بمفردةِ الكَبِّ كِنايةٌ عن العَمى؛ إذ المُكبُّ لا يهتدي إلى الطَّريق، فيظلُّ يتعثَّرُ، وينكَبُّ على وجهه، والمقصودُ به الكافرُ الَّذي أكبّ على المعاصي في الدُّنيا، فحُشِر على وجههِ في الآخرة، في مقابلِ المُؤمِن الَّذي استَقامَ على أمرِ اللّهِ تَعالى في دُنْياهُ، فحُشِر قائمًا إلى الجنَّة[1].

الإشارَةُ إلى حالِ الكافِرِ في الدُّنيا ومآله في الآخرَةِ

بلاغَةُ الإيجاز بالحَذْفِ:

حُذِف ذِكْرُ الطَّريق في شأن المُكبِّ على وجهه في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ إيجازًا، ونكتةُ ذلكَ بيانُ أنَّ ما عليه الكافِرُ لا يستحقُّ أن يُسمّى طريقًا، ولأنَّ مقابلةَ هذا المَشْيِ السّاقط المُلتَوي بذِكْرِ الصِّراط المستقيم في الجانبِ الآخَر كافيَةٌ في الدّلالة، فجاءَ الحَذْفُ أبلَغَ؛ إذْ جُعِلَ حالُهُ كأنَّها تيهٌ بلا طريقٍ، لا مسلَكَ فيها ولا هدايَة[2].

ما عليهِ الكافِرُ لا يَستَحِقُّ أن يُسمّى طريقًا

دلالة التّعبيرِ بصيغَةِ (أفْعل) التَّفضيل:

وردَ لفظ الهدايةِ بصيغَةِ أفْعَل التَّفضيل ﴿أَهْدَىٰٓ﴾، وليس التّعبيرُ

صيغُ التَّفضيل تُعيَّن مفاضلتُها من عدَمِها بحسَبِ السّياق

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 8/ 100، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 93، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 44.

(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 93، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 46.

بهذهِ الصّيغة على بابها في إفادَةِ المُفاضلَة؛ إذْ لا معنى لمُفاضلةٍ بَيْنَ مَن يَمْشي مُكبًّا على وجههِ، وهو فاقِدٌ الهدايةَ بالكلّيَّة، وبَيْنَ مَن يَسيرُ سويًّا على الصِّراط المُستقيم، فجاءت الصّيغةُ هُنا مسلوبةَ المُفاضلة، على سبيل التَّهكُّم بالمُشركين والتَّبكيت لَهُم، أو هو تَمْليحٌ بحسَبِ المقام[1]، أي: ليس المقصودُ أنَّ الماشيَ مُستقيمًا هو أكثرُ هدايَةً مِن الماشي مكبًّا، بحيث يُفهَم أنّ للثّاني قدرًا من الهدايةِ، بلِ المقصودُ أنَّ الأوَّل هو المهتدي حقًّا في مُقابل الثّاني الضّالِّ الَّذي لا هداية عندَهُ، ومِن ثَمَّ يكون ﴿أَهْدَىٰٓ﴾ في مَعْنى الصِّفة المُشبَّهة، أو هو من قَبيل (أفعل) التَّفضيل المُجرَّد عن معنى الزّيادة، فهو منزوعُ المفاضلةِ، وما كان كذلك؛ فقَدْ أفادَ المبالغة، كقولهم: (هو أفقَهُ مِنَ الجِدار)؛ إذِ الجِدارُ لا فِقْهَ لَهُ أصلًا، فالنَّتيجة: أنَّ الأوَّلَ واصلٌ إلى الحَقِّ والدّين القويم، والآخرَ مُنقطعٌ عنه تمامًا[2].

بلاغَةُ التَّكرارِ:

تأكيدُ التَّقرير السّابق بتقريرٍ لاحِقٍ بيانٌ للمباينَةِ التّامَّة بينَ الفَريقَيْنِ

جاء تَكرارُ صيغةِ الاستفهام والاسم الموصولِ والفِعْلِ ﴿أَفَمَن يَمْشِى﴾، على سبيل التَّقرير لا لطَلَبِ الجَواب؛ إذْ إنَّ السّامع لا يملك إلّا أن يُقرَّ بأنَّ الماشيَ سويًّا على صراطٍ مُستقيم هو الأهدى، فغرَضُ الاستفهام التَّقريرُ؛ ليُؤكِّد أنَّ المُؤمن المهتديَ على الطَّريق الواضح أهدى وأقومُ مِن الكافِر الَّذي يمشي مُكبًّا على وجهه، مُتردِّدًا في ظُلمات الغيِّ والضَّلال[3].

كما أنَّ تَكْرارَ الموصول (مَن) يُفيد التَّقابلَ التّامَّ بَيْنَ الحالين، فيُعطي كُلَّ فريق استقلالًا في الذِّكر، ويُبرزُ التَّباين بينَهُما بوُضوحٍ، وأيضًا فإنَّ في التَّكرار نوعًا من التَّقرير والتَّوكيد على أنّ لكلٍّ فريقٍ صِفَتَهُ الَّتي لا تَلْتَبِسُ بغَيْرِهِ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 46.
(2) البالِيسانيّ، حسن البيان: 6/ 2611، والصّاويّ، حاشية الصاويّ على الجلالين: 4/ 236.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 229، والبالِيسانيّ، حسن البيان: 6/ 2611.

بلاغَةُ التَّعْبيرِ بصيغَةِ ﴿سَوِيًّا﴾ نكرةً:

المُهْتَدي كامِلُ الاغْتِدالِ تامُّ الاسْتِقامَةِ

جاء لفظُ ﴿سَوِيًّا﴾ على صيغة فعيل بمعنى: فاعل؛ لبيان أنَّه شديدُ الاستقامةِ والاستواء، وفي هذا دلالةٌ على كمال الاعتدالِ وتمامِ الاستقامة، كما في قولِه تعالى: ﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم: 43]، ونُكِّر لإفادة التَّعظيم، أي: طريقًا مستقيمًا تامَّ الاستواء لا عِوَج فيه[1].

بلاغَةُ استِعْمالِ حرفِ الاستعلاءِ:

الإيماءُ إلى تمكُّن المُهْتَدي على طريقِ الحقِّ

آثر النّظمُ الكريم استعمالَ حرف الاستعلاءِ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِه تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ لبيان تمكُّنِ الماشي، لا لبيان أنّه فوق الصِّراط مكانًا، وإن كان ذلك لازمَ الكلامِ.

نُكتَةُ تَنْكيرِ لَفْظِ ﴿صِرَٰطٍ﴾:

فخامَةُ الصِّراط في كونِهِ شاملًا لطريقِ الحَقِّ في الدُّنيا والنَّجاة في الآخِرَةِ

نُكِّر لفظ ﴿صِرَٰطٍ﴾ للتَّفخيم والتَّعظيم، كأنَّه قيل: صراطٌ عظيمٌ واضِحٌ مُسْتَقيمٌ، واسِعٌ ممتَدٌّ للسّالكين، سهْلُ المَسْلَك، لا حدودَ لوضوحه في الدُّنيا، يُرْشِدهُم ربُّهم إلى الحقِّ واتِّباعه، ويوفِّقهم لمخالفةِ الباطِل واجْتِنابه، وفي الآخرة يهديهم الصِّراطَ المستقيمَ الموصلَ إلى درجاتِ الجنّات، ويُزَحْزِحُهم عن العذابِ الأليم ودَرَكاتِ الجَحيم[2].

دلالَةُ وصْفِ الصِّراط بالاستقامة:

أقربُ طريقٍ وأسدُّ سبيلٍ المستقيمُ

وُصِفَ لفظُ ﴿صِرَٰطٍ﴾ بصفة الاستقامَةِ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ ليدلَّ على كمالِ اعتداله، فلا عِوَج فيه ولا انحرافَ، وليس فيهِ ما يُتعثَّرُ به[3]، فأحسنُ الطُّرق ما كان مستقيمًا؛ لأنَّه باستقامته يكون أقربَ موصلٍ إلى المقصود، فلا يَضِلُّ سالكُه، ولا يتردَّد، ولا يتحيَّر، فهو العَدْلُ السَّويُّ الَّذي لا يميلون إلى غيره، ولا يَنْحَرفونَ عنهُ، وهذا الوصفُ أبلَغُ في بيان سهولةِ الاهتداء به وسلامةِ سالكِهِ مِنَ الضَّلال.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 46، والطَّنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 25.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 258، والزُّحيليّ، التَّفسير المُنير: 29/ 33.
(3) الطَّنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 25، وشحاته، تفسير القرآن الكريم: 29/ 6002.

نُكتَةُ تَنْكير لفظِ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ للمبالغَةِ والتَّفخيم، أي: هو في غاية القِوَم، فهو صراطٌ عظيمُ الاستقامَةِ، كاملُ الوُضوح، لا عوجَ فيهِ ولا التواءَ[1].

فائدَةُ الاستعارةِ التَّصريحيَّة في لفظِ ﴿صِرَٰطٍ﴾:

طَـريـقُ الـحـقِّ واضحٌ لا التِباسَ فيهِ ولا اشْتِباهَ

الصِّراطُ المُسْتَقيمُ مُستعارٌ للإيمان والحقِّ؛ لأنَّ الصِّراطَ يُطلَق في الأصل على الطَّريق الحِسّيِّ المخصوص، فاستعمالُهُ هُنا لطريق الإسلام[2] استعارةً تَصريحيَّةً أصليَّةً؛ إذ شُبِّهَ دينُ الإسلام بالطَّريق المخصوص الحسّيِّ، والجامعُ بينَهُما: أنَّ كُلًّا مِنْهُما موَصِّلٌ للمقصودِ[3]، مع الاستقامةِ في كلٍّ مِنْهُما، فصُرِّحَ باسم المُشَبَّه بِه، وطويَ ذكرُ المشبَّهِ، على طريقة الاستعارة التَّصْريحيَّة، وفائدةُ الاستعارة: التَّنْبيهُ على وضوحِ الطَّريقِ وعَدَمِ اشتباهِهِ؛ إذِ الحِسّيّاتُ أظْهَرُ في التَّصوُّرِ مِنَ العقليّاتِ.

بلاغَةُ فنِّ الاحتباكِ:

الاحتباكُ أبلَغُ في تصوير التَّباين بَيْنَ الفَريقَيْنِ

في قولِهِ تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ احتِباكٌ؛ إذ حُذِف من الجُملة الأولى ما ذُكِر في الثّانية، وحُذِف من الثّانية ما ذُكِر في الأولى؛ إذ ذُكر ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ أوَّلًا؛ ليدلّ بمقابلَتِه على: (على قدميه) في الثّانية، وذُكر ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ثانيًا؛ ليدلّ بمقابلته على: (طريق مُعْوَجّ) في الأولى، وتقدير الكلام دون احتباكٍ: أفمن يمشي مكبًّا على وجْهِه على طريقٍ مُعْوَجٍّ أهدى أمَّن يمشي سويًّا على قدَمَيْهِ على صراطٍ مستقيم، وسِرُّ هذا الأسلوبِ أنَّ الآية أبْرَزَت أقبحَ ما يَصِف حالَ المجرم، وهوَ الكبُّ على الوجه، وأجمل

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 20/ 258.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 219، والسّيواسيّ، عيون التَّفاسير: 4/ 234.
(3) الميدانيّ، معارج التَّفكر: 14/ 532.

ما يُزيِّن حالَ المؤمنِ المشي على صراط مستقيم، فكان الاحتباكُ أبلَغَ في تصويرِ التَّباين بَيْنَ الفريقين.

بلاغَةُ الاستعاراتِ التَّمثيليَّةِ:

تمثيلُ المعاني المركّبة بألفاظٍ محسوسَةٍ طريقُ النَّظْمِ في بيانِ مقاصِدِ القرآنِ

في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ تصويرٌ بليغٌ لحالِ المؤمنِ والكافرِ، فالكافرُ بما هو فيه مِن اضطرابٍ في عقيدته، وتخبُّطٍ في نظرِه، وشدَّةِ التباسِ الأمرِ عليه، يشبهُ الأعمى الَّذي يمشي في طريقٍ وعرٍ كثيرِ التَّعرُّج، فلا يكادُ يخطو خطوةً إلّا يتعثَّرُ، فيسقطُ على وجهه، أمّا المؤمنُ - لِقوَّة يقينِه، واطمئنانِ قلبِه بالإيمانِ، ووضوحِ الحقِّ أمامه - فهو كالَّذي يمشي صحيحَ البصر، مستويَ القامة، على طريقٍ مُمهَّدٍ واضحٍ، لا عوجَ فيه ولا مشقَّة، يرى معالمَه بيّنةً، فلا يضلّ فيه، وهذا تمثيلٌ ضربَهُ اللّهُ تعالى للكافرين والمؤمنين، أو لرجُلين أحدهما كافرٌ، والآخر مؤمن، وهو مرتبطٌ بقولِه سُبْحانَه: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾، وقولِه: ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾، وما تلاه مِنَ الحُجج البالغة عليهم في قوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾، وقوله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ﴾، فقد جَرى التَّمثيلُ على تشبيهِ حالِ المُؤمنِ والكافرِ بحالَيْنِ مِنَ المَشْي، إحداهما: مُنَكَّسَةٌ مُتَعثِّرة، والأخرى: مستقيمةٌ مُطْمَئِنَّة، وجُعِل الدّينُ طريقًا يُسْلَك؛ ولذا تعيّن أن يُفهَم من قوله: ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ أنَّ الكافرَ إنَّما يَسْلُك طريقًا مُعوجًّا، فلا يزال يَتَلَمَّس موضعَ خَطْوِه خشيةَ الضَّلال، على صورةِ مَن يمشي مُنَكَّسًا لا يرى سِوى ما تحت قدميه، بخلاف المؤمن الَّذي يسيرُ في وضوحٍ وبيانٍ[1].

فالآية الكريمة تَشْتَمِلُ على ثلاثِ استعاراتٍ تمثيليَّة بديعةٍ،

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 582، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 231، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 228، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 9، والدَّرويش، إعراب القرآن وإعرابه: 10/ 159.

فقولُه تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ تصويرٌ لحال المُشْرِك في تَقَسُّم أمره بَيْنَ الآلهة طلبًا للَّذي ينفعُه منها، الشّاكِّ في انتفاعه بها، بحالِ مسافرٍ يَقْصِدُ أرضًا بعَيْنِها، لكنّ لا طريقَ واضحةٌ إليها، فيسلكُ مسالكَ مُلتويةً مُتشعِّبة، ويَلْتَبِسُ عليه السَّبيل، فلا يطمئنُّ لوجهةٍ يسلكُها، بل يبقى مُتردِّدًا يتفحَّص آثارَ الأقدامِ وأخفافِ الإبلِ؛ ليتأكَّد إنْ كان الطَّريقُ مطروقًا أو مهجورًا.

وفي ثنايا هذا التَّشبيهِ تمثيلٌ آخرُ مُضمَّن في قوله: ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾؛ إذ شُبِّه المتحيّر الَّذي يَلْصَقُ نظرُه بالأرض بحثًا عن أدلَّةِ السَّير، بالماشي مُنَكِّسًا وجهَهُ قريبًا من الأرض لا يرفَعُ بَصَرَهُ.

وأمّا قوله: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾؛ فتمثيلٌ لحالِ المُؤمِن الموحِّد، الواثقِ بتأييدِ ربِّه ونَصْرِه، والمُطْمئنِّ لكونهِ على الحقِّ، بحال مَن يسلُك طريقًا مستقيمًا واضحَ المعالم، لا يلتفتُ إلّا نحوَ وِجهته، فيمضي معتدلًا مطمئنَّ الخُطا، وقد جاء هذا التَّصوير البليغُ في غاية الإيجاز؛ إذْ أغْنى ذِكْرُ الاستقامةِ في المَشْهَدِ الثّاني عن التَّصريح باعْوِجاجِ الطَّريق في المشهد الأوَّل، فاكتُفي بالمقابلةِ بينَهُما لتَمام البَيان[1]، فالمُؤمِنُ مَن يَمْشي سويًّا على صراطٍ مُسْتَقيم، والكافر يَمْشي مكبًّا على وجْهِهِ إلى طريقِ الجَحيم.

بلاغَةُ إيجازِ القَصْرِ في التَّقابل:

إبـرازُ التَّفاوت الشّاسع بَيْنَ الفريقَيْنِ دونَ ذِكْـرٍ صريحٍ للمُفاضلةِ

التَّقابل في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يقوم على مبدأٍ بلاغيٍّ رفيع، وهو الاكتفاءُ بعَرْضِ صورتَيْنِ مُتَضادَّتين دون الحاجةِ إلى التَّصريح بالمُفاضلة بينَهُما؛ لأنّ العقلَ السَّليمَ يُدركها مِنْ أوَّل وهْلةٍ، فالنَّظم الكريم يَعْرِضُ حالَ المشرك كمَن يَمْشي مكبًّا على وجهه، متعثِّرًا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 44 - 46.

تائهًا، في مقابلة حال المؤمن الَّذي يَمْشي سويًّا على صراطٍ مُسْتَقيم، معتدلَ الخُطا، واضحَ الطَّريق، وبهذا الأسلوبِ البليغِ يتحَقَّق الغرَضُ البلاغيُّ، وهوَ إبرازُ التَّفاوت الشّاسع ونفي التّساوي بين مُتَباينَيْن دون ذكرٍ صريحٍ للمفاضلة، وهذا من بديعِ إيجازِ القَصْرِ؛ لأنّه يترُكُ للمُتَلَقّي تصوُّرَ الأمر بكلّيَّته، واستحضارَ الحالِ بمآله[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الطَّريق والسَّبيل والصِّراط:

الطَّريقُ: هوَ كُلُّ ما يَطْرُقُهُ الطّارقُ مِنَ النّاسِ، مُعْتادًا كانَ أو غَيْرَ مُعْتادٍ[2]، كما قال تعالى: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ [طه: 77]، أمّا السَّبيلُ؛ فهوَ الطَّريقُ السَّهْلُ، وأغْلَبُ ما يَقَعُ في الخَيْرِ، وقَد يَقَعُ في الشَّرِّ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: 55]، وأمّا الصِّراطُ؛ فَهوَ السَّبيلُ الَّذي لا اعوجاجَ فيهِ ولا التِواءَ.

السَّبيلُ هو الطَّريق السَّهل، والصِّراطُ أقْوَمُ الطَّريق، والطَّريق أعمُّها

فالفَرْقُ بَيْنَ الطَّريقِ والسَّبيلِ: أنَّ الطَّريقَ لا يَقْتَضي السُّهولَةَ واعْتيادَ السُّلوكِ[3]، والسَّبيلُ: السَّهْلُ المُعْتادُ، والفَرْقُ بَيْنَ السَّبيلِ والصِّراطِ: أنَّ الصِّراط لا اعْوِجاجَ فيهِ[4]، كما قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: 161]، فالصِّراطُ أخَصُّ مِنَ السَّبيلِ، قال تَعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: 153]، والسَّبيلُ أخَصُّ مِنَ الطَّريقِ[5]، وقَد يُطْلَقُ كُلٌّ مِنْها على الآخَرِ تَوَسُّعًا.

(1) السَّعديّ، القواعد الحسان، ص: 162، 163، والميدانيّ، معارج التَّفكُّر: 14/ 532.
(2) أبو البَقاءِ الكَفَويُّ، الكُلّيات، ص: 513.
(3) أبو هِلالٍ العَسْكَريُّ، الفُروقُ اللُّغَويَّةُ، ص: 298.
(4) أبو البَقاءِ الكَفَويُّ، الكُلّيات، ص: 513.
(5) المَناويُّ، التَّوقيفُ، ص: 215.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والستون،
سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 63 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-00-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 63 : المجلد الثالث والستون، سورة المُلك من الآية 12 إلى سورة المَعَارج الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-00-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7111585 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"